جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

استرفادُ مَقُولاتِ عبدِ القاهرِ الجرجانيّ في الدَّرسِ الأسلوبيّ لمحمَّد عبد المطلب؛ قراءةٌ في منهجيّة المعالجَة والتَّوظيْف

الدكتور

هاني علي سعيد محمد

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الفيوم- جمهورية مصر العربية

العدد الرابع والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م

الجزء الثالث عشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

استرفادُ مَقُولاتِ عبدِ القاهرِ الجرجانيّ في الدَّرسِ الأسلوبيّ لمحمّد عبد المطلب؛ قراءةٌ في منهجيّةِ المعالجَة والتَّوظيف

هاني علي سعيد محمد

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الفيوم- جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: has00@fayoum.edu.eg

الملخص

اكتسبَ فكرُ عبد القاهر البلاغيّ في مؤلفاتِ محمد عبد المطلب الأسلوبية مكانةً خاصة؛ بدتْ من خلال تأثره به تأثرا وصل إلى درجة الفتنة، لكنّ هذه الفتنة القرائية لم تكُن مانعتَه مناقشةَ مقولاتِ عبد القاهر وتفنيدَها، رافعًا عنها حجاب الزمن، وناقلا لها من القرن الخامس الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري؛ ليسلك بها تجربة قرائية تبتعد عن الانغلاق المطلق والانفتاح المطلق؛ متحركا فيها عبر السطح والعمق، ومقدما فيها المقدمات والنتائج، وهي- أيضا- قراءة لا تعترف بالمدلول الأول، كما أنها حداثيةً تدرس القديم بعقل الجديد، وتحمِّلُه ما لا يحتمل أحيانا.

وفق ذلك يرصدُ هذا البحثُ بأدواتِ القراءةِ التحليليةِ استرفادَ مقولاتِ عبدِ القاهرِ الجرجانيّ في اثنين مِنْ مؤلفاتِ محمد عبد المطلب الأسلوبية، وهما كتابَا:" البلاغة والأسلوبية" و" قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني"، وقد استطعنَا فيه أن نكشفَ عن أهمِّ معالمِ القراءةِ بوصفِها منهجًا لفَهم التراثِ البلاغيِّ عندَ عبدِ المطلب، ثم درسْنا طرائقَ معالجتِه لمقولاتِ عبد القاهر، التي تمثلتْ في: النقدِ والمناقشةِ، وتصديرِها في مركزِ الهيمنةِ لتقويضِ مقولاتِ البلاغيين، بالإضافة إلى المعالجةِ اللغويةِ للمقولة، وتحميلِها ما لا تَحْتَمِلُ أحيانا. كما درسنا كيفَ صارَ عبدُ القاهر معادلا للبلاغةِ عند عبد المطلب؛ فحاجَجَ بمقولاتِه عنِ البَلاغةِ القديمةِ، وأثْبَتَ وعيَهَا بالمنجزِ الأسلوبيّ الحديث.

الكلمات المفتاحية: عبد المطلب- الجرجاني- البلاغة- الأسلوبية- قضايا- الحداثة .

Quoting Abd al-Qahir al-Jurjani's sayings in the Stylistic Lesson of Muhammed Abd al-Motaleb: A Reading in the Methodology of Approaching and Utilization

Hani Ali Saeed Mohammed
Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Fayoum University, Arab Republic of Egypt .
Email: has00@fayoum.edu.eg

Abstract

Abd al-Qahir's thought has received a special place in Muhammed Abd al-Motaleb's works; this special place appears in being highly influenced by Abd al-Qahir to the degree of infatuation. This fascinated reading however has not prevented him from discussing and refuting Abd al-Qahir's quotes taking away the veil of time from them as well as moving these quotes from the 5th century A.H. to the 15th century A.H. so as to take them into an experience of reading away from absolute openness and absolute enclosure; a reading in which Abd al-Motaleb moves through the surface and the depth and presents premises and findings. Additionally, it is a reading that does not accept the first connotation; it is also a modernist reading that studies the old with the mind of the new and attributes interpretations, which are not indicated, to it.

Accordingly, this paper tackles, through the tools of analytical reading, quoting Abd al-Qahir al-Jurjani's sayings in two of Muhammad Abd al-Motaleb's works in stylistics, namely Rhetoric and Stylistics, and Issues of Modernism according to Abd al-Qahir. We have managed to reveal the most remarkable features of reading as a method to comprehend the rhetorical heritage according to Abd al-Motaled. Then, we studied the ways through which he approached the quotes of Abd al-Qahir. These ways comprised criticism and discussion, bringing the quotes to the center of domination to refute rhetors' sayings, the linguistic approaching of the quotes as well as attributing interpretations, which are not indicated, to the quotes. In addition, we studied how, for Abd al-Motaleb, Abd al-Qahir has become an equivalent to rhetoric; he argued using Abd al-Qahir's quotes about the old rhetoric and proved that theses quotes are aware of modern stylistic achievement.

Keywords : Abd-al-Motaleb, al-Jurjani, stylistics, issues, modernism .

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الحمدُ للهِ الذي بنعمتِه تتمُّ الصالحاتُ، وبجودِه ومنِّه تحصلُ البركاتُ، وأصلي وأُسلِّم على النبيِّ الخاتمِ محمدٍ، صلَّى اللهُ عليه وسلم، أتمَّ وأفضلَ الصلواتِ، وبعدُ،

فإنّ مِن أجْدى الدراسات في علوم العربيّة عامة، والبلاغة والنقد خاصة، تلك التي تناقشُ التراثَ وتُسائله، وتتخطى بِنَاهُ الظاهرةَ لتنقِّبَ عن حفرياته، وتكشف عن معالمه وأسسه، ورغم أن أهداف هذه الدراسات تتعدد وتتغاير، فإن الجادَّ منها المستحق للإشادة، ما يكون مِعولَه فاعلا في تفكيك مسائل التراث وتحليلها؛ واصلا فيما بينها وبين المستجدات الحديثة، ممّا يُبقي هذا التراث حيًّا، وهي مهمة ليست بالسهلة في ظل محاولات كثيرة تتجدد في كل وقتٍ منادية بضرورة عزل هذا التراث، وتغطيته بحُجَّة أنه ما عاد يصلُح!

ومن ضمن هذه الدراسات الجادة التي تُمثل مشروعًا بلاغيًّا واضحَ المعالم، دراسات الدكتور محمد عبد المطلب البلاغية، التي امتدت على مدار أربعين عاما تقريبا، بداية من إصدار كتابه: جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، سنة١٩٨٣م، وحتى وقتنا هذا؛ إذ لا تزال دراساتُه تمُدُّ الخطابَ البلاغيّ بتحليلاتٍ معمَّقَة، وقد قدَّم داخل هذه الدراسات مشروعَه الأسلوبي، الذي يمكننا وصفه بالمتميز، لا من باب التزكية، وإنما هو إكليل يثبته له الواقع البحثيُّ البلاغي الآن، فمن بداية هذه الأربعينية تنبَّأ عبد

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المطلب للبلاغة العربية بحضور ضافٍ في الدراسات الحديثة؛ مناقضا مقولاتٍ كثيرةً انطلقتْ تتهم الدرسَ البلاغيَّ القديمَ بأنه قُتِلَ بحثا، وقد احترق وفنِيَ رمادُه...، لكنّ حضورَ البلاغةِ العربية الآن في مباحث اللسانيات الحديثة، والتداوليات، والسيميائيات، والحِجَاج، وتحليل الخطاب، يفي بالرد على هذه المقولات، مما يعني نجاح مشروع عبد المطلب البلاغي، الذي سعى فيه، والأسلوبي منه خاصة، إلى التنبؤ بهذا الحضور، ويُعدُّ توفيقُه بين البلاغة والأسلوبية مثالا ناطقا على قراءته الواعية للتراث البلاغي، وتخطيه بالبلاغة العربيةِ الظرفَ التاريخيّ؛ ليحلّ بها في قلب النظريات والمناهج الحديثة.

وَوَفْقَ هذا المفتتح جاء عنوانُ هذا البحث: " استرفاد مقولات عبد القاهر الجرجاني في الدرس الأسلوبي لمحمد عبد المطلب؛ قراءة في منهجيّة المعالجة والتوظيف"، لنحاول تحته أن نكشف عن منهج عبد المطلب في قراءة تراث عبد القاهر الجرجاني البلاغي، وقد آثرنا استخدام مصطلح "الاسترفاد" عن غيره لما يحمله من معنى الأخذ مع الاستيعاب، كما استخدمنا كلمة(مقولة) للدلالة على تحليلات عبد القاهر التي تأثر بها عبد المطلب، هذه التحليلات أغلبها تعمل من وراء مقولات مؤثرة في الدرس البلاغي عند عبد القاهر، سواء كانت مقولات اصطلاحية صغرى، كما هو في النظم، والاحتذاء، ومعنى المعنى وغيرها، أو مقولات كبرى تتمثل في مجموعة النصوص والمفاهيم التي يقتبسها داخل درسه الأسلوبيّ، وسوف نقف عند أهم هذه المقولات؛ محاولين التعرف إلى طرائق عبد المطلب في

معالجتها، ومنهجِه في ذلك، وكيف وظّفَها من أجل مَسْعَى التوفيق الذي تبناه فيما بين التراث البلاغي والبحث الأسلوبي ؟

وهذه التساؤلات المطروحة تحت العنوان، سنحاول الإجابة عنها من خلال رصد مقولات عبد القاهر في اثنين من أهم مؤلفات عبد المطلب الأسلوبية، وهما كتاباه:" البلاغة والأسلوبية"، و" قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني"، وقد وقع الاختيار على هذين الكتابَيْنِ من دون بقية مؤلفاته الأسلوبية؛ لقناعة البحث بأنها كافية لاختبار فرضياته؛ ولأن كثيرا من مؤلفات عبد المطلب الأخرى قد تَتَايَعَتْ على دراستها بحوثٌ كثيرة، وهو ما سنُعرّج عليه أثناء حديثنا عن الدراسات السابقة.

وقد راعينا في اختيارنا لكتابيّ عبد المطلب أن يكونا وافيَيْنِ في إمدادنا بتصورٍ شافٍ يصل بنا إلى النتائج التي نرتجي الوصولَ إليها، فجاء كتاب "البلاغة والأسلوبية" ليكشف عن المقاربة التي تبنّاها فيما بين القديم البلاغي والحديث اللساني مُمَثّلا في الأسلوبية، في حين جاء كتابه" قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني"؛ ليُمثّل تفاعلا مباشرا فيما بين فكر عبد المطلب ومقولات عبد القاهر في ضوء الأسلوبية والنظريات اللغوية الحديثة، وهو ما يسمح لنا برصد السياحة القرائية التي مارسها عبد المطلب لهذه المقولات بشكل متباين يُظهِر تنوّع آلياتِ هذه القراءة.

وقد تواترتْ على مؤلفات محمّد عبد المطلب دراساتٌ عديدةٌ، تنوعت فيما بين رسائل جامعية، أقامت درسا مُوسّعا حول جهوده وفلسفته البلاغية،

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وبحوثٍ أخرى رصدتْ أهمَّ مظاهر هذه الفلسفة من بين الظواهر الكثيرة التي تزخر بها مؤلفاتُه، ونذكر من هذه الدراسات:

– دراسة آلاء محمد السوسي، وعنوانها: "محمد عبد المطلب ناقدا وبلاغيا"، وهي رسالةٌ نالت بها الباحثة درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بغزة، عام ٢٠١٦م. والرسالة تقع في ثلاثمئة وخمس وأربعين صفحة، درستْ فيها الباحثة عَشَرةً من مؤلفات عبد المطلب، وقد أفصحت في بدايتها عن هدفها الرئيس المتمثل في تتبع التطور المنهجي في رؤية محمد عبد المطلب للبلاغة، وصراعها مع المناهج النقدية الوافدة، والرسالة وإن استَجْلَتْ كثيرا مما هدفت إليه، فإن الباحثة قد جانبها الصواب في وضع هذا الكمّ الهائل من مؤلفات عبد المطلب تحت طائلة البحث، ولو اقتصرت على بعضها لكان أوفى لها في دقة الرصد والتحليل.

– دراسة الباحث عثماني عمار، وعنوانها: "ملامح تجديد البلاغة في كتاب البلاغة العربية قراءة أخرى، لمحمد عبد المطلب: دراسة تحليلية نقدية"، وهي رسالة للدكتوراه، ممنوحة من كلية الآداب واللغات والفنون، بجامعة وهران بالجزائر، لعام ٢٠١٦م، وقد عنى فيها الباحث برصد اتجاهات عبد المطلب في تجديد البلاغة، وموقفِه من النظريات الحديثة، وكذلك صورة البلاغة السكاكية لديه.

– ومن البحوث التي تناولت جهوده كذلك، بحث محمد سالم سعد الله، وعنوانه: "تحديث الدرس البلاغي عند الناقدَيْنِ محمد عبد المطلب ومحمد العمري. رؤية نقدية"، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل،

٢٠١٣م، وبحث رشا ناصر العلي: "نقد النقد، قراءة في نقد د. محمد عبد المطلب للسرد"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، منشور بالمجلد الثامن والثمانين، الجزء الثاني، لعام ٢٠١٥م.

- بحث وليد أبو عديلة،" المبدع والمتلقي عند الجرجاني- قراءة في كتاب محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني"، مجلة قراءات، جامعة بسكرة بالجزائر، لعام٢٠١٠م، وقد درس الباحث فيها الفصلين الخاصين بالمبدع والمتلقي من كتاب:" قضايا الحداثة" ثم قدم بعض ما يحيل إلى خصوصيات الإبداع، وصفات المتلقي في دلائل الإعجاز لعبد القاهر.

ومن الدراسات -أخيرا- دراسة بعنوان:" أثر عبد القاهر الجرجاني في الدراسات البلاغية الحديثة"، وهي رسالة ماجستير للباحثة غدير أحمد، مُنِحَتْهَا من كلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية، لعام ٢٠٠٦م. وهي دراسة لم تُدخِل عبد المطلب ومؤلفاته ضمن مادتها، وإنما تناولت الدراسات البلاغية لمصطفى ناصف، وأمين الخولي، وبدوي طبانة.

ورغم اختلاف هذه الدراسات عن منهجية بحثنا، غير أننا سوف نفيد منها جميعا في بناء قراءتنا لعبد المطلب، بالإضافة إلى استنادنا إلى مجموعة من المصادر والمراجع الأخرى، التي نستعين بها في تعميق هذه القراءة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ووَفق ما تقدم كله، تتجرد خطة هذا البحث لتشتمل على مقدمة، وتمهيد، قدمنا فيه ملامح" القراءة " بوصفها منهجا لفهم التراث عند عبد المطلب، ثم يتكون البحث بعد ذلك من مطلبين، ندرس في الأول منهما: طرائق عبد المطلب في معالجة مقولات عبد القاهر ومنهجيّته في ذلك، ويأتي المَطْلَبُ الثاني ليتناول: توظيف عبد المطلب لمقولات عبد القاهر؛ محاولين أن نرصد في هذا المطلب نوع الوظيفة التي احتلتها مقولة عبد القاهر في كتابَيْ عبد المطلب، وأثرها في درسه الأسلوبي. أما عن منهجنا في هذه الدراسة فقد انتهجنا منهجا قرائيا شبيها بمنهجية عبد المطلب في دراساته البلاغية، وهو منهج القراءة المتضمن لإجراءات التحليل، والتفكيك والتركيب، والانتقاء، والبُعد عن الأحكام المطلقة، وطرح فرضيات التأويل؛ بوصفها أساسا منهجيا لهذه القراءة.

تمهيد

(١)

تعدَّدت الدراساتُ البلاغية الحديثة التي اشتغلت على سرد تاريخ البلاغة العربية، ورصْدِ مسائلها ومصادرها وفنونها، على نحو ما نجد ذلك عند أحمد مصطفى المراغي في "تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها"، وفي "البلاغة تطور وتاريخ" لشوقي ضيف، و"البيان العربي" لبدوي طبانة، و"البلاغة العربية، تاريخها. مصادرها. مناهجها." لعلي عشري زايد، وغيرها كثير من الدراسات التي انتهجت البعد التاريخيّ في تناولها للبلاغة العربية. وعلى الرغم من الفروق التي تمايزت بها كلٌّ دراسة في مدخل التناول، فإن السمة العامة الغالبة على هذه الدراسات أنها توقفت عند العرض السردي لتاريخ المصدر البلاغي، وتصنيف الظاهرة البلاغية، وهو أمر حقق حضورا مؤثرا للبلاغة العربية في العصر الحديث، ولفَتَ النظر إلى تاريخها، لكنه لم يَتَحرَّكْ بها من الإطار الزمني القديم الذي نشأت فيه؛ ليناقشها ويسائلها بمنطق المنهجية الحديثة، فكان ذلك كمَنْ نقل تمثالا أثريًّا من تابوته القديم إلى صندوق من الزجاج، فأسهم في بروزه للناظرين، لكنه لم يثبت لنا أهمية حضوره، ولا دوره في مكانه الجديد.

ثم ظهرتْ مجموعةٌ أخرى من الدراسات سلكتْ منهجَ مساءلة التراث البلاغي، من خلال مجموعة من المناهج والأدوات الحديثة، فمنها ما تبنّى الاتجاه اللساني، ومارس في دراسته النقد البنيوي، الذي ينظر إلى الظاهرة باعتبارها: " تمثل نظاما شاملا، والأعمال الأدبية تصبح حينئذ أبنية كلية ذات

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

نظم، وتحليلها يعني إدراك علائقها الداخلية، ودرجة ترابطها، والعناصر المنهجية فيها، وتركيبها..."[١] وقد أسدت هذه القراءة الحديثة للتراث البلاغي خدمات جليلة، حين جعلت من البلاغة علما يمارس التحليل والتفسير، لا مجرد قاعدة سابقة على العمل الأدبي، كما أنها وَقَتِ البلاغةَ التراثية من تغوّل المناهج الحديثة التي حاولتْ طمسها، وذلك لأن هذه القراءات أخرجت ما في مباحث التراث البلاغي من علميّة قادرة على مواكبة الدرس اللغوي الحديث، ومن ضمن دراسات هذا الاتجاه، مشروع محمد عبد المطلب الأسلوبي، وكذلك مشروع حمادي صمود، في كتابه: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس(مشروع قراءة)، ومشروع محمد العمري، الذي أسس له في كتابه:" البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها"[٢]، وغير ذلك من المشروعات، التي أعادت قراءة القديم البلاغي في ضوء منجز النظريات والمناهج الجديدة.

---

(١) د. صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، دار ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٩١.

(٢) بالإمكان مطالعة خصائص المشروعين في دراسة الدكتوراه التي أعدها الباحث : عثماني عمار، وعنوانها: ملامح تجديد البلاغة في كتاب البلاغة العربية قراءة أخرى لمحمد عبد المطلب، دراسة تحليلية نقدية، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران- الجزائر، بداية من ص١٧؛ حيث فصّل الباحث القول في أهم سمات= = التجديد في المشروعين. كما يمكن مطالعة دراسة الدكتور: محمد بوعافية عبد الرزاق: البلاغة العربية والبلاغات الجديدة؛ قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠١٨م، وقد اقتصر في كتابه على شرح ضافٍ لمشروع محمد العمري البلاغي.

(٢)

في استدعاءٍ ذاكراتيّ يحكي محمد عبد المطلب قصة شكّلتْ لديه وعيا مبكرا بمنهج القراءة، وذلك حين استعصى عليه نصٌّ تراثيّ، فرجع إلى أستاذه مصطفى ناصف، فأبان له عن السبب، ونصحه قائلا:" لقد استعصى عليك النصُّ بسبب هذه القراءة التي تشبه قراءتك لصحيفة من الصحف أو مجلة للتسلية، لكي يبوح لك النصُّ بمكنونه، عليك أن تقرأه بمودة، وأن تطيل معاشرته، عندها سوف تنفتح المغاليق، وقد كان..."[١] والقارئ لمؤلفات عبد المطلب جميعها يستشعر تلك المودة في تناوله لنصوصه؛ عملا بنصيحة أستاذه، مما أسهم في انفتاح قراءته على تعدد الاحتمالات، وهو ما نجده في العديد من عنوانات كُتبه، كما في كتابه" قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، وكتاب" قراءة ثانية في شعر امرئ القيس"، وكتاب " البلاغة العربية قراءة أخرى".

ولقد وضع محمد عبد المطلب يديه على مكمن العطب في التناول الحديث للدرس البلاغي القديم، ممّا مكنه من وضع خطة قرائية لهذا التراث، يقول:" الحق أن الدرس البلاغي العربي القديم، كان ذا تأثير بالغ في مسيرة النقد العربي حتى يومنا هذا، وما زالت أغلب أدواته هي عُدة النقد الأساسية، وبخاصة ما يتصل بنقد الخطاب الشعري، لكن المؤسف أن هذه الأدوات تقدم للناشئة في قوالب جافة، حتى تحولت إلى أداة تفسيرية عقيمة؛

(١) د. محمد عبد المطلب: الأعلام الذهبية، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م، ص٢٣٧. وقد حدثت هذه الحكاية حينما كان يعد عبد المطلب رسالته للدكتوراه.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لأن مَن يتعامل بها لم يدرك وظائفها الجمالية الصحيحة، ولم يحاول الكشف عن خلفيّتها اللغوية، التي تعطيها شرعية وظيفتها الإبداعية"[١].

ومن الممكن أن نتتبع وصف هذه القراءة التي تبناها عبد المطلب في مقدمته التي اختطها لكتابه" قضايا الحداثة"، إذ إنها قراءة لا تلتزم بالحرفية أو المدلول الأول، وتقوم على وعي انتقائي، كما أنها تُحمّل ما تقرأه ما لا يَحتمِل أحيانا، وتربط التحليل بالتركيب، وتلتقط العناصر المفردة وتصهرها في قالب واحد يشكل استقلالية ثنائية، وهي كذلك قراءة تبتعد عن الانغلاق المطلق والانفتاح المطلق، يتحرك فيها عبر السطح والعمق، ويقدم من خلالها المقدمات والنتائج، وتوصف بأنها ليست استقصائية مستوعبة، وتهدف إلى الاستكشاف من خلال قراءة القديم بعقل الجديد.[٢]

ولقد أخذت قراءة عبد المطلب للتراث البلاغي مراحل ثلاث؛ إذ بدأ بالقراءة الاستكشافية الواعية، وثنّى بالمرحلة التي عنى فيها بالتحديث وربط البلاغة بالأسلوبية، ثم المرحلة الثالثة التي مثَّلت" العودة إلى الذات"، على حد تعبير الباحثة آلاء السوسي، وهي المرحلة التي دافع فيها عن البلاغة ضد تيارات حداثية تبنّت هدمها[٣].

---

(١) د. محمد عبد المطلب: البلاغة العربية؛ قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ص١.

(٢) ينظر: د. محمد عبد المطلب: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م، ص٢، ٣.

(٣) يراجع : آلاء محمد السوسي: محمد عبد المطلب ناقدا وبلاغيا، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٦، ص٤٦.

(٣)

وإذا كانت هذه هي أهمَّ معالم القراءة عند عبد المطلب، فإن الإجراءات التي سلكها في تطبيق هذه القراءة على التراث البلاغي قد تشكّلت من خطوة أولى حددها بقوله: " ناقد الحداثة الحق لا يبدأ دراسته إلا بعد التحامه بالنص التحاما حميما"[١] وهذا الالتحام أنتج بعد ذلك ما أسماه عبد المطلب بالعناية بالجديد، وهي " في حقيقتها عناية بالقديم، بمعنى أن رصد ظواهر الحداثة لا يمكن تحديده بدقة إلا إذا كان هناك تصور للقديم، ورصْدٍ لظواهره، وتحديد لخطوطه النظرية والتطبيقية"[٢] ولو عددنا الالتحام بالنص والعناية تمهيدا لفعل القراءة، فإن التحليل من أهم الإجراءات التي أولاها عبد المطلب عنايته، وذلك من خلال وضع مفردات منتقاة من التراث البلاغي تحت مجهر التحليل؛ ليأتي التفكيك إجراءً تاليا يصل من خلاله إلى النواة الأولى لمقولات التراث ومفرداته، وهو ما يستدعي تردده فيما بين القديم والجديد في حركة لا يهم فيها أن تبدأ من أحدهما وتنتهي بالآخر، بقدر ما يكون الأهم ارتباط نقطة البدء بأسباب حقيقية فعليّة[٣]، وذلك حرصا على دحض فكرة الربط فيما بين القديم والحداثي دون دلائل واقعية؛ مما يكون هدفه تحديثا مُدَّعى للتراث، أو انتصارا مُتوَهما لمسائله، أو ليًّا لعنق نصوصه. وقد أفاد عبد المطلب كثيرا من فكرة الثنائيات في النقد البنيوي،

---

(١) د. محمد عبد المطلب: النص المشكل أو قصيدة النثر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٩، ص٢٤.

(٢) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، سبق توثيقه، ص١.

(٣) يراجع: السابق: ص٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بوصفها إجراء مُهمًّا أيضا، مكّنه من الإمساك بالمتغيرات الطارئة داخل الظاهرة البلاغية، كما في تحليله لقضايا المعنى ومعنى المعنى، وعلاقتها بالسطح والعمق، وفكرة المستوى المألوف والمستوى الإبداعي، وغير ذلك.

وإذا كانت لنا إضافة أخيرة في هذا التمهيد، فبإمكاننا أن نستدعيها من مقولة مهمة من مقولات عبد القاهر الجرجاني، التي يُبين فيها عن منهجه في تحليل نصوصه؛ إذ يقول: " واعلم أنك لا تشفي العِلة، ولا تنتهي إلى ثَلَج اليقين، حتى تتجاوز حدّ العلم بالشيء مجملا، إلى العلم به مفصّلا، وحتى لا يقنعك إلا النظر في زواياه، والتغلغل في مكامنه..."[(١)] فيكاد ما يقرره عبد القاهر هنا هو نفسه ما تناولنا تفاصيله عند عبد المطلب، وهو نفسه ما سنحاول أن نقتفي أثره في بحثنا هذا؛ إذ إن الأخذ بإجراءات هذه القراءة تنتج معرفة متعمقة بالتراث البلاغي، وتعمل على تجديد معالمه وتحديدها في الوقت نفسه.

(١) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص٢٦٠.

المطلب الأول: طرائق المعالجة ومنهجيّتُها.

مهمة البحث في هذا المَطْلَب تتعلق بالكشف عن طرائق عبد المُطَّلِب وأساليبه في معالجة مقولات عبد القاهر الجرجاني، والكشف عن الكيفية التي تتم بها هذه المعالجة، وموقعها داخل نصه الرئيس، وإدارة المقولة داخل نصوص كتابَيْه، وهو التناول الذي يؤسس لنا معرفة أكبر بقراءة عبد المطلب للتراث البلاغي، وحدود هذه القراءة من ناحية الانفصال والاتصال، والتسليم والتقييم، والتحديث والتقديس.

ولا يستطيع قارئ عبد المطلب أن يخرج بعد قراءة مؤلفاته إلا وقد لازمته فكرة رئيسة تتعلق بفتنته الخاصة بفكر عبد القاهر الجرجاني، وإن كان البُعد الظاهر لفهم هذه الفتنة يقتضي أن تكون هناك طريقة واحدة يعالج بها مقولاته تتمثل في الانبهار والتسليم، فإن العكس هو الصحيح؛ إذ نرصد طرائق متعددة في معالجة أفكار عبد القاهر عنده، وهو ما يمكننا مبدئيا أن نبني نتيجة مفادها أن عبد المطلب يؤسس لمعرفة تعتمد القطيعة المنتجة، والاتصال المفارق أساسا لقراءة التراث .

وسوف نحاول أن نرصد بعض طرائق هذه المعالجة في النقاط الآتية:

١- مناقشة المقولة ونقدها :

لم يكن موقف عبد المطلب من التراث البلاغي عموما موقفا واحدا، بل مرّ بمحطتين رئيستين، الأولى منهما كان منتقدا فيها لكثير من مسالك البلاغة العربية، فنراه يصفها بالعقم والجمود، جاعلا الأسلوبية بديلا عنها،

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وذلك في إطار حديثه عن التناول الأسلوبي لخواص الصياغة، والتناول البلاغي لها، فيقول: "وربما حاولت البلاغة العربية- وهي تجدد نفسها- تلمس هذه الأمور في دراستها الشكلية للجملة؛ فدرست أنواع التعبير المختلفة، ووضعت لها الأسماء والمصطلحات، ولكنها تجمّدتْ عند هذه الخطوة، ولم تحاول أن تصل إلى بحث العمل الأدبي في مجمله، مما انتهى بها إلى العقم..." (١)، كما عاب عليها، أيضا، الجزئية وظهورها في شكل قوانين صارمة، وغير ذلك من المآخذ التي راجعها جميعا في محطة ثانية، مثّلتها قراءته الأخرى للبلاغة العربية في كتابه البلاغة العربية قراءة أخرى.(٢)

وحركيّة القراءة التي مارسها عبد المطلب مع التراث البلاغي في عمومه، منحته قدرةً على إعادة إصدار الأحكام في ضوء فهم جديد، وهو أهم ما يُميّز قراءته للتراث، وهو الأمر نفسه الذي مارسه في قراءته لمقولات عبد القاهر، فلم تكن فتنته الخاصة بأفكاره مانعته من نقد خطابه البلاغي، ومن ذلك- مثلا- نقده له في إهماله الجانب الصوتي، وذلك في معرض حديثه عن توافق كل من عبد القاهر ونوعم تشومسكي في القدرة اللغوية للمتكلم وما يتولد عنها من أنماط لغوية لا نهائية، فالقواعد التحويلية عند تشومسكي لا تقوم على قواعد اللغة والنحو فقط، بل على معطيات

(١) د. محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية: الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م، ص٢٠٧، ٢٠٨.

(٢) ينظر مثالا على ذلك، مراجعته لمسألة الجزئية في كتابه : البلاغة العربية قراءة أخرى، ص١٩.

صوتية وصرفية ودلالية، عن طريقها يمكن توليد عدد غير محدود من الجمل، وهو ما عرف في النظرية باسم الكفاية[١]، وقد أهمل عبد القاهر المكون الصوتي، كما عبّر عبد المطلب عن ذلك بقوله: " وأعتقد أن هذه المسألة لم تلق العناية الكافية من عبد القاهر؛ نتيجة لإغفاله طبيعة الفصل بين المستوى التجريدي للنظم، والمستوى المادي المسموع؛ ومن ثم وجدناه أحيانا يُهمِل الجانب الصوتي، وخاصة إذا اتصل بتصور الهياكل الإفرادية فيما أطلقوا عليه علم (الصرف)" [٢]، والحق أن عبد القاهر في تجريده لنظرية النظم لم يهمل الجانب الصوتي (أحيانا)، كما يقول عبد المطلب، وإنما أهمله تماما، فعلى الرغم من توحيد نظريته فيما بين المعاني والألفاظ ونظمهما في مسلك واحد، فإن عبد القاهر ما كَلّ ينادي بإعلاء شأن المعاني على الألفاظ؛ جاعلا لها المزية، وواصفا الألفاظ بأنها خدَم للمعاني، وفي مباحثه الكثيرة عن الفصاحة وما ينبغي لها من صفات، خالف من كان قبله من البلاغيين[٣]، ولم يعترف بفصاحةٍ تجِب للفظ المفرد أو الصوت، يقول: "

---

(١) نوم تشومسكي: البنى النحوية، ترجمة يؤيل يوسف عزيز، مراجعة مجيد الماشطة، منشورات عيون، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٧م، ص٣٧.

(٢) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ص٨٣ . وقد وضعتُ خطًّا تحت الكلمات التي تثبت فتنة عبد المطلب بعبد القاهر، فلم ينسب إليه إهماله الجانب الصوتي بعباراتٍ قاطعة، وإنما استخدم أسلوب التلطيف من قبيل الكلمات: (العناية الكافية، أحيانا)؛ إذ على حدّ بحثنا لم نجد في إنتاج عبد القاهر البلاغي، وبخاصة في (الدلائل)، ما يثبت اهتماما له بالصوت أو اللفظة المفردة.

(٣) وأشهر من خالفهم عبد القاهر وأقربهم إلى عصره ابن سنان الخفاجي، الذي أعدَّ فصلا في كتابه تناول فيه الصوت وشروط فصاحته، ينظر كتابه: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص٥٩ وما بعدها.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إن كلامنا في فصاحةٍ تجب للَّفظ، لا من أجل شيء يدخل في النطق، ولكن من أجل لطائف تُدرَك بالفهم"[١] وإن كان لنا تبرير منهجي حول إهمال عبد القاهر للمستوى الصوتي، فسيرجع إلى منهجه المتّبع في دلائل الإعجاز، الذي أخذ طابَعَ الحِجاج عن فكرته حول إعجاز القرآن؛ فلذلك نجده دوما يوجه كلامه إلى كل مَن يعارض فكرة النظم محاولا إقناعهم، وقد تنازل عن هذا الإقناع في تناوله للجانب الصوتي والتصريفي، كما يتنازل الواثق من النصر عن بعض أدلته وأدواته لعلمه بأن الغلبة له، ولنتابع هذا الطابع في قوله :" أما هذا الجنس فلسنا نعيبكم إن لم تنظروا فيه، ولم تُعنوا به، وليس يهمنا أمره، فقولوا فيه ما شئتم، وضعوه حيث أردتم"[٢] فهِمَّة عبد القاهر، هنا، مصروفةٌ إلى النظم والتركيب، لا إلى التصريف الذي هو مستوى إفرادي، ولا يريد لهؤلاء أن يصرفوه عن هذه الهمة، فيتوه منه الدليل الذي يثبت من خلاله نظم القرآن بوصفه إعجازا، لذلك نأى عن أن يفسر الإعجاز من هذا المدخل الصوتي، الذي كان قد تعاظم قبله؛ لذلك يدخل في قناعة البحث أن إهمال عبد القاهر للجانب الصوتي ليس إهمالَ المنكِر لوظيفته، وإنما هو إنكار مَذْهبيّ وجّهه إلى الدفاع عن وجهة نظره في إثبات الفضيلة والمزية للمعاني، ومن الممكن أن نعثر في (الدلائل) على ما يجعلنا نعضد

(١) دلائل الإعجاز: ص٣٩٩. ويجعل عبد القاهر الرأي الذي يتبنى أن يكون للفظة المفردة والأصوات مزية من شنيع القول، فيقول:" إذا جعلنا الصوت هو العمدة في المفاضلة بين عبارتين، ولم نعرج على غيره لزم أن نقصر الفضيلة عليه حتى لا يكون الإعجاز إلا به، وفي ذلك من الشناعة ما لا يخفى" دلائل الإعجاز: ص٥٨، ٥٩.

(٢) دلائل الإعجاز: ص٢٩.

هذه الفكرة، حين نلمح ما يشبه اعتذارا من عبد القاهر عن عدم تناوله للجانب الإفرادي والصوتي ضمن نظريته، وذلك في قوله: " واعلم أننا لا نأبى أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلا فيما يوجب الفضيلة، وأن تكون مما يؤكد أمر الإعجاز، وإنما الذي ننكره... أن يجعله معجزا به وحده، ويجعله الأصل والعمدة"(١)، فهو ينكر على هؤلاء الذين عظّموا شأن الألفاظ المفردة والأصوات حتى جعلوها المدخل الأوحد للإعجاز، ومِنْ ثَمَّ فإنَّ إهماله لهذا الجانب جاء موظفا لإنكار هذا الزعم ولخدمة فكرته في النظم؛ وليس إهمالَ جهلٍ بأثر المكونات الصوتية في تشكيل الدلالات والمعاني.

ومن النقد، أيضا، الذي وجهه عبد المطلب لعبد القاهر، ما أخذه عليه في كونه لا يتجاوز الجملة الواحدة، بقوله:" غير أن هذا الجهد الوفير شابَه الوقوف عند حدود الجملة الواحدة، مما جعل دراسته مبتورة في كثير من أجزائها"(٢)، كما استدرك على عبد القاهر مناقضته نفسه فيما أخذه على سيبويه والنحاة في مسألة التقديم والتأخير، واقتصارهم على حصر علته في العناية والاهتمام(٣)، فعلّق عبد المطلب على ذلك بقوله :" وما قال به عبد القاهر عن قصور النحاة هنا غير دقيق، فسيبويه في الحقيقة لم يقتصر في

(١) دلائل الإعجاز: ص٥٢٢.

(٢) د. محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م، ص٣.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ص١٠٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بيان سر التقديم على العناية والاهتمام، بل جعله يأتي أحيانا لتنبيه المخاطب، وتأكيد الكلام، وعبد القاهر نفسه يعود وينقل عنه..."[١]

إن هذه النماذج التي مثلنا بها لنقد عبد المطلب لمقولات الجرجاني لَتعكس مدى موقفه من التراث البلاغي في بناء مشروعه الأسلوبي، فهو لا يقف موقف التقديس وإنما موقف المساءلة والمراجعة والتحليل.

٢- مركزيّة المقولة:

ونقصد بمركزية المقولة احتلالها مركز الدلالة داخل نصوص عبد المطلب، سواء كان استرفاده لها بمفردها، أو إلى جانب مقولات تراثية أخرى، حيث تظل لها الصدارة في الحالين، من خلال معالجة عبد المطلب لها، ووضعه إياها في مركز الدائرة؛ فيشد لمقولة عبد القاهر المقولات الأخرى، حتى تبدو لها الهيمنة والغلبة في تقويض ما يرافقها من مقولات.

ومن نماذج ذلك ما عرَضَه عن مفهوم الأسلوب عند المغاربة، وتحديدا عند حازم القرطاجَنِّي، الذي أفاد من التراث اليوناني والتراث المشرقي قبله، وقرأ عبدَ القاهر واستطاع أن يخرج بدراسة أكثر شمولية واستيعابا للأسلوب؛ حين جعل النظم شاملا للعملية الأدبية كلها، وهو الأمر الذي تجاوز فيه عبد القاهر، فهو – كما يقول عبد المطلب– قد " كَسَرَ الحاجز الفكري الذي صنعه عبد القاهر بتوقفه في دراسة النظم عند حدود الجملة الواحدة"[٢]، وهذا التجاوز والتفوق لم يشفع لحازم عند عبد المطلب من مهاجمته له، واتهامه إياه بالتلفيق في تفريقه فيما بين الأسلوب الذي

(١) البلاغة والأسلوبية: ص٣٣١

(٢) ينظر: السابق: ص٢٧.

هو عنده هيئة تحصل عن التأليفات المعنوية، والنظم الذي هو هيئة تحصل عن التأليفات اللفظية[١]، قائلا:" وكأنّ حازما قام بعملية تلفيق بين مفهوم أرسطو للأسلوب ومفهوم عبد القاهر للنظم"[٢]، ومن الملاحظ أن عبد المطلب لا يستخدم كلمة (تلفيق) لمجرد وصف مسلك حازم القرطاجني في فهم الأسلوب بعيدا عن النظم، وإلا ما عددنا ذلك من باب هيمنة مقولات عبد القاهر، وإنما يستخدمها ليعبّر بها عن مخالفة حازم لمقولة عبد القاهر في النظم خاصة، وهي المقولة التي يسوي فيها الأخير بين الأسلوب والنظم، يقول عبد المطلب مُصرّحا بذلك: "وإنما ذكرتُ كلمة "تلفيق" لما قام به حازم؛ لأن الرجل حادَ عما عُرف عن عبد القاهر بأن النظم يعتمد على الترتيب المعنوي في النفس..."[٣] ومن هنا تبدو مقولة عبد القاهر في النظم هي المقولة المركزية، التي يشد إليها عبد المطلب مقولات حازم، ويحاكمها قياسا إليها، وهي المعالجة التي تصنع من مصطلح (النظم) نمطا خاصا، يخالف ما عليه مصطلحات العلم عموما من قابليتها للتغيير والشرح والإضافة.

ونلفى نموذجا آخر لهذه المركزية في تناول عبد المطلب لسياقات الحذف والذكر عند عبد القاهر، وتوصيفه لها بأنها جاءت في سياق الاختيارات المتاحة للمبدع كنسق جمالي للأداء، وقد قدمها عبد القاهر في إطار تطبيقي للاستعمال الأدبي ورَبَطَها بنظرية النظم، ولم يوقعها تحت

---

(١) ينظر: حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، تونس ١٩٦٦، ص٣٦٣

(٢) البلاغة والأسلوبية: ص٢٨، ٢٩.

(٣) السابق: ص٢٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

قانون الحصر البلاغي، وإنما أوقعها تحت قاعدة مهمة أبان عنها، واسترفدَها عنه عبد المطلب، وهي قوله:" فإنك ترى به تركَ الذكر، أفصحَ من الذكر، والصمتَ عن الإفادة، أزيدَ للإفادة، وتجدك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بيانا إذا لم تُبِنْ"[(١)] دون ارتباط مسبق لها بقوانين صارمة، على النحو الذي تناول به البلاغيون من بعدُ مسائل الحذف والذكر، وهو ما أخذه عليهم عبد المطلب قياسا إلى مقولات عبد القاهر ومنهجه، فيقول:" ومن الملاحظ أن معظم البلاغيين بعد عبد القاهر لم يتفهموا هذا السياق، ولم يستطيعوا وضعه تحت قانونٍ من قوانينهم الصارمة..." [(٢)] ثم انتقد عبد المطلب منهج " الرازي" في تناوله لهذه السياقات ليظهر تفاوت عبد القاهر عنه في ذلك[(٣)]، وهو تفاوت تفوق، بلا شك، لصالح منهجية عبد القاهر في استخدام البلاغة كأداة نقدية جمالية تحلل ولا تقنن، وهو ما سيكون لنا معه وقفة أخرى في المطلب الثاني من هذا البحث، الذي نتناول فيه توظيف مقولات عبد القاهر في كِتابَي عبد المطلب.

وبالنظر إلى مسلك عبد المطلب في النموذجين اللّذين أوردناهما لمركزية المقولة، نجد أن المركزية في النموذج الأول هي مركزية مقوِّضة،

---

(١) دلائل الإعجاز: ص١٤٦.

(٢) البلاغة والأسلوبية: ص٣١٦. ومن المعلوم أن البلاغيين حددوا ما يشبه القواعد الثابتة للحذف والذكر، قد استنبطوها من النصوص الأدبية الرفيعة، وصنفوها للدلالة على ضروب مختلفة من الحذف والذكر، على نحو ما نجد في حذف المسند إليه عندهم، فقد جعلوا حذفه للاحتراز من العبث، أو لضيق المقام ، أو لتعجيل المسرة، وغير ذلك.

(٣) ينظر: السابق: ص٣١٧.

حين سلك بمقولات عبد القاهر في النظم مسلك الهيمنة، وذلك للحجر على محاولات حازم القرطاجني في استخراج معنى جديد للأسلوب وآخر للنظم، في حين كانت مركزية مقولات عبد القاهر في النموذج الثاني الخاص بسياقات الحذف والذكر مركزية تفوّق؛ لكونها تقود المسار الأمثل للتحليل البلاغي.

٣- تحميل المقولة ما لا تحتمل:

تنبغي الإشارة إلى أن عبد المطلب قد أفصح في حديثه عن منهجه في قراءة التراث البلاغي بـ:" أن هذه القراءة لم تستوعب ما تقرؤه أحيانا، أو أنها تُحَمِّل ما تقرؤه ما لا يحتمل في أحيان أخرى"[١] وإذا كان لنا أن نفهم أن تكون القراءة (غير مستوعبة) في إطار فكرة الانتقاء التي تنتفي معها الشمولية التامة للمقروء، فإن فكرةَ تحميل المقروء ما لا يحتمل من الممكن فهمها في إطار من التأويل، الذي يرفع حجاب الزمن عن نص عبد القاهر(ت٤٧١هـ)، فينقله من القرن الخامس الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري حيث تناوُل عبد المطلب له، ولا شك أن هذه النقلة محكومة بقراءة حداثية، ومن المعلوم أن أي قراءة حداثية – تقريبا- تُحمّل المقروء ما لا يحتمل، نقول هذا لنرفع عن مقولة (تحميل المقروء ما لا يحتمل) حكم الخطأ المنهجي، ولنستوعبها في إطار كونها وصفا ملازما لمنهج القراءة المتكئ على التأويلية أداةً، وهو ما سنحاول تلمسه في معالجة عبد المطلب لمقولات عبد القاهر.

---

(١) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ص٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن هذه النماذج مقولة عبد القاهر، التي عرّف فيها (الاحتـذاء)،: "واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقـديره وتمييـزه، أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض أسلوبا- والأسلوب الضرب من الـنظم والطريقة فيه- فيَعْمِدَ شاعرٌ آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به فـي شـعره، فيُشَبَّه بمَنْ يقطع من أديمه نعلا على مثالِ نَعْلٍ قد قطعَها صاحبُها"(١)ويقـدم عبد المطلب، بعد أن يورد هذه المقولة كاملة، قراءةً تُحمّل كلام عبد القاهر ما لا يحتمل، نعدد أبرز مخرجاتها في النقاط الآتية:

- يأخذ الأسلوب عند عبد القاهر طبيعة تصوُّرية ذهنية.
- اكتساب هذا التصور يعد قابلا للتحقق.
- التصور الذهني يحيله عبد القاهر إلى صورة نفسية.
- هذه الصورة النفسية صورة مزدوجة لها وجود داخلي وخارجي.
- يتحقق الوجود الخارجي بالنظر إلـى التراكيـب والعلاقـات فيمـا بـين مفرداتها.(٢)

والمتأمل في كلام عبد القاهر يدرك أن الرجل إنما أراد أن يضع حدا للاحتذاء في الشعر، ومجيء كلمة الأسلوب عنده جاءتْ عرَضا (في جملـة اعتراضية)، وتصورنا أنه ما أراد من الأسلوب إلا كونـه طريقـة لمحاكـاة

(١) دلائل الإعجاز: ص٤٦٨، ٤٦٩.
(٢) راجع هذه التفسيرات القرائية للاحتذاء في: قضايا الحداثة عند عبـد القـاهر الجرجـاني، ص٤٤.

شاعر لاحق لشاعر سابق في الأخذ والاقتباس، وهو ما أبان عنه عبد القاهر في الأمثلة التي أوردها، ومنها قول الفرزدق:

أَتَرْجُو رُبَيْعٌ أن تجيءَ صغارُها بخيرٍ، وقد أعيا رُبَيْعًا كِبَارُها

فاحتذاه البَعِيْث:

أترجُو كليبٌ أن يجيءَ حديثُها بخيرٍ، وقد أعيَا كليبًا قديمُها[١]

فلا نجد هنا كلاما عن التصور الذهني، ولا عن الصورة النفسية، وطريقة الآخذ(البَعيث) أقرب إلى النقل الخارجي لقالَب التركيب؛ ولو كان فيها تصور ذهني لخرج الأسلوب إلى إبداع خالص ليس فيه نسب ولا شبَه ببيت الفرزدق، ودليل ذلك أن الفرزدق سمّاه انتحالا[٢]، فهو لعب خارجي فقط في التركيب، ولعل تشبيهَ عبد القاهر الاحتذاءَ باقتطاع النعل على صورة نعل سابقة، يفي بتوجيه دلالة الأسلوب- في تعريفه للاحتذاء- إلى كونه مجرد نقل للقالب الخارجي للتركيب ومحاكاة له، دون إعمال الذهن في تأليف آخر بإمكانات إبداعية جديدة، أما تفسيرات عبد المطلب للأسلوب فإنما تتماشى مع المفاهيم المتعددة التي قدمها عبد القاهر في مواضع أخرى من كتابَيْه، ليس منها هذا الموضع.

---

(١) دلائل الإعجاز: ص٤٦٩.

(٢) ينظر: السابق: ص٤٦٩. وقد أورد عبد القاهر أن الفرزدق لما سمع بيت البعيث، أنشد:

إذا ما قلتُ قافية شرودًا تنحّلهَا ابن حمراءِ العِجان

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والملاحظ أن كتاب" قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني" تعددت فيه نماذجُ معالجة عبد المطلب لمقولات عبد القاهر وتحميلها مالا تحتمل؛ نظرا لتلك القراءة الحداثية التي انتهجها عبد المطلب في هذا الكتاب، ومن نماذج ذلك ما جمع فيه عبد المطلب بين عبد القاهر وتشومسكي، واستطاع من خلال عقد مقارنة تفصيلية فيما بينهما أن يقدم قراءة تقوم على استكشاف أصول الفكر التوليدي التحويلي لتشومسكي في بلاغة عبد القاهر ونظريته في النظم، منها-مثلا- انطلاقهما من نقطة التصور العقلي للأشكال اللغوية، ومن العناية بالتركيب والنحو، ثم ملاحظة وجود مستويين للكلام، هما المستوى السطحي والمستوى العميق(١)، وغير ذلك من النقاط المشتركة.

وعلى الرغم من أن نظرية تشومسكي تهتم في المقام الأول بالكليّات اللغوية، التي تعطينا تفسيرات عن اكتساب اللغة، والجانب اللغوي وقدرة المتحدث على إنشاء جُمَلٍ جديدة لم يسبق له أن نطق بها، ونطقه جُمَلا لم يحدث أن سمعها من قبل، كما تتناول الجانب الفطري في هذا الاكتساب أو ما يعرف بالسليقة، ومعالجة أسسها عند الأطفال خاصة(٢)، فإن عبد المطلب -أحيانا- يطابق بين مشارب الرجلين، رغم أن انطلاق نظرية النظم عند عبد

(١) يراجع الفصل الثاني " النحو" من كتاب قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ص٥١-٦٣.

(٢) ينظر: د. إبراهيم التكينة: النظرية التوليدية التحويلية من منظور تاريخي، مجلة آداب النيلين، جامعة النيلين، السودان، مج١، ع(٤)، أكتوبر، ٢٠١٢م، ص٥٠، والبحث في المجلة ص ص٣٩-٦٠.

القاهر أخذت منحى التفسير الإبداعي للكلام الأدبي خاصة، لا تفسير جميع الأشكال اللغوية، ونلمح من بين هذه المطابقات، كذلك، ربط عبد المطلب مقولة عبد القاهر عن النظم وأنه :" ليس شيئا غير توخّي معاني النحو فيما بين الكلم، وأنك ترتب المعاني أولا في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك"(١) أي أنه يتحرك وفق مستوى عقلي وآخر محسوس، وهو ما بيَّن عبد المطلب تقاربه مع مفهوم تشومسكي عن البنية العميقة، بقوله: " الإدراك العقلي الممثل للمستوى العميق يقابل مستوى البنية العميقة عند تشومسكي"(٢)، وإن كان هذا الربط له وجاهته، فإن عبد المطلب انطلق مع مقولات عبد القاهر؛ ليجاوز بها ما توصل إليه التوليديون، كما في قوله إن عبد القاهر بإخضاعه المجاز لسيطرة النحو يكون قد أخضع الحدث اللغوي كله تحت طائلة النحو(٣)، وكذلك ما تناوله تحت مصطلح المقاصد الواعية، التي تثبت فاعلية الجانب النفسي والعقلي في تفسير الصياغة، وهو ما لم يتحقق عند التوليديين كما يقول عبد المطلب:" ومن هنا يختلف الرجل عن كثير من التوليديين المحدثين، الذين حاولوا إلغاء الذات الفاعلة؛ ليجعلوا من النسق أو النظام شيئا متعاليا عليها"(٤)

وأيًّا ما يكن من أمر فإن تحميل عبد المطلب المقولة ما لا تحتمل قد أضفى على تراث عبد القاهر تحديثا قرّبه من وجهات النظر اللسانية

(١) دلائل الإعجاز: ص٤٥٤.
(٢) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني: ص٨١
(٣) ينظر: السابق: ص٨٤.
(٤) السابق: ص٨٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الحديثة، وَوَصَلَه بدقائق مهمة في أبعاد هذه النظريات، وتظل هذه الإضافات المهمة قابلة للإثراء والنقد في الدرس الأسلوبي لعبد المطلب، الذي حرص على استكمال مشروعه القرائي في فهم البلاغة وَفق فكرة السطح والعمق التحويلية، حين قرأ بلاغة السكاكي من خلالها(١)، وانتهى إلى أن فكر السكاكي يتوافق مع هذه القواعد التحويلية.

٤- المعالجة اللُّغوية للمقولة:

من ضمن ما نذكره من طرائق المعالجة، أيضا، ما انتهجه عبد المطلب من تتبع الملاحظات اللغوية في مقولة عبد القاهر؛ ليفسر من خلالها المقولة، ويضفي شروحا عليها، ونأخذ مثالا على ذلك تناوله لمقولة المجاز والمواضعة، التي تناول فيها عبد القاهر حدَّ المجاز وكيف يمكن للمجاز أن يتحول إلى مواضعة جديدة، يقول: " فكل كلمةٍ أريد بها غيرُ ما وقَعَت له في وضعِ واضعها، لملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز، وإن شئتَ قلتَ: كل كلمة جُزْتَ بها ما وقعتْ له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غيرِ أن تستأنفَ فيها وضعًا، لملاحظة بين ما تُجُوّز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها، فهي مجاز."(٢) فقد علق عبد المطلب على المقولة ملاحظا ورود كلمة (الواضع) معرفة، في حين أن تناول البلاغة القديمة لها كان يأتي دوما بالتنكير، وهو ما يتعلق بدلالة مهمة مفادها أن

(١) راجع: البلاغة العربية قراءة أخرى، ص٩٦.

(٢) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط١، ١٩٩١م، ص٣٥١، ٣٥٢.

الواضع ليس منشئا مجهولا هنا، وإنما هو الشاعر أو الخطيب، الذي بإمكانه أن ينشئ وضعا جديدا، يقول: " ولكن الرجل برؤيته الفنية يُعــرّف اللفظــة باعتبار أن الوضع المتجدد عملية إبداعية يقوم بها منشئ محدد... فلا شك في أن الرجل لم يرد بعملية الوضع ما شغل الدراسين عــن الواضــع الأول للغة؛ وإنما يقصد المواضعة بمعناها الفني"[١] والملاحظة اللغوية هنا مــدخل مهم قدم من خلاله عبد المطلب فرقا مائزا فيما بين وضع منشئ مجهــول (الوضع اللغوي)، ووضع آخر ينسب إلى المبدعين (الوضع الإبداعي)، وقد تتبعه في مقولات أخرى عند عبد القاهر.

(١) البلاغة والأسلوبية: ص٧١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المطلب الثاني

توظيف عبد المطلب لمقولات عبد القاهر

يرصد البحث في هذا المطلب أشكالا من التوظيف لمقولات عبد القاهر الجرجاني داخل الدرس الأسلوبي لعبد المطلب، وسيأتي عرضُنا لبعض هذه الأشكال قائما على الانتقاء، بالإضافة إلى الحرص على بيان طبيعة هذه الوظائف، وطريقة عملها عند عبد المطلب، ومن هذه الأشكال:

(١) توظيف مقولات عبد القاهر بوصفها حِجَاجاً:

فعلى الرغم من تصريح عبد المطلب بأنه: " لا يمكن محاكمة العقلية السابقة، وما أنتجته من إبداع في صعيدي التنظير والتطبيق بميزان العقلية المعاصرة، التي لها تصور آخر عن طبيعة الآليات"[(١)] فقد رصدنا حضورا فاعلا لنصوص عبد القاهر البلاغية ومقولاته؛ ليحاجج بها عبد المطلب عن الدرس البلاغي ضد منتقصيه صراحة أو ضمنا، وفي الوقت نفسه تصير هذه المقولات بمثابة دليل على توافق البلاغة التراثية مع المنجز اللساني الحديث، بل تفوقها عليه أحيانا، ومن هذه المقولات:

(أ) إدراك عبد القاهر للفرق فيما بين اللغة والكلام:

فمنذ تفريق دي سوسير فيما بين اللغة والكلام؛ مما عُدَّ صيحة في الدرس اللساني الحديث، وذلك حين عرّف اللغة بأنها: " نظام اجتماعي

(١) البلاغة العربية قراءة أخرى: سبق توثيقه، ص٣٠.

مستقل عن الفرد، والكلام منها بمثابة التحقيق العيني الفردي"[١] ليجعل بذلك اللغة مجموعة من القواعد المختزنة في أذهان متكلميها، في حين يصير الكلام هو النشاط الفردي الذي يحدث على نحوٍ إبداعي يتفاوت فيه الأفراد، وهو ما أدركه عبد القاهر في حديثه عن النظم والفصاحة، التي يقول فيها: " الفصاحة فيما نحن فيه، عبارة عن مزية هي بالمتكلم دون واضع اللغة..."[٢] وذلك لأن المتكلم يضفي على الألفاظ معاني جديدة حين يركبها في نظم ما، أما الألفاظ في حال الوضع اللغوي فلا مزية لها؛ لكونها مشتركة فيما بين متكلمي هذه اللغة كأوضاع وقواعد، لا تتفاضل إلا باستعمالها على نحو فردي، وهو الأمر نفسه الذي نلفاه عند دي سوسير، وقد نقل عبد المطلب مقولات عبد القاهر في ذلك، وانتهى بحكم يثبت تفوقا لها في إدراك ما اكتشفته النظريات الحديثة، بقوله :" إن عبد القاهر وهو يقدم نظريته في النظم فرّق بين اللغة والكلام، وعني عناية خاصة بما يقدمه المتكلم"[٣] وبذلك يكون قد " نجح نجاحا غير محدود"[٤] بتعبير عبد المطلب، في الوصول إلى أهم القواعد اللسانية، مما يثبت مواكبة الدرس البلاغي للنظريات الحديثة، وتوافقه مع هذه الرؤى اللسانية الحديثة.

---

(١) دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي وآخرين، الدار العربية للكتاب، ليبيا طرابلس وتونس، ١٩٨٥م، ص٥٣.

(٢) دلائل الإعجاز: ص٤٠١.

(٣) البلاغة والأسلوبية: ص٥٢. وقد أورد عبد المطلب أكثر من ثلاث مقولات تثبت تفريق عبد القاهر بين اللغة والكلام، منها ما جاء مدمجا في أثناء كلامه، ومنها ما جاء على هيئة اقتباس.

(٤) السابق: ص٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

(ب) تجاوز عبد القاهر للأسلوبيين(مقولة إخضاع المجاز لسيطرة النحو)

فقد أورد عبد المطلب مقولة عبد القاهر، التي يرُدَّ فيها على من يخرج الاستعارة وضروب المجاز من جملة ما يصير القرآن به معجزا، وفيها يقول: " وذلك لأن هذه المعاني التي هي الاستعارة والكناية والتمثيل، وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم وعنه يحدث وبه يكون؛ لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يُتَوَخَّ فيما بينها حكم من أحكام النحو"(١) وقد ردَّ عبد القاهر هنا الاستعارة والتمثيل وضروب المجاز إلى النظم والتركيب، وذلك لاستحالة إنتاجها من الكلمات المفردة دون أن يضمها تركيب وتأليف، وهو ما علق عليه عبد المطلب بقوله:" وبإخضاع المجاز لسيطرة النحو وعلاقاته التجاورية يؤكد عبد القاهر امتداد هذا التأثير على المجال الإبداعي كله"(٢) ثم يطلق حكمه على المقولة بالقياس إلى المنجز الأسلوبي، فيقول: " ويكاد عبد القاهر يتوافق مع الأسلوبيين المحدثين في كثير من مباحثه...وذلك بإخضاعه المجاز لسيطرة النحو وعلاقاته التركيبية، إن لم نقل إنه جاوزهم بمقولته عن تجدد المواضعة"(٣)

وبهذا الحكم الأخير يثبت عبد المطلب لمقولات عبد القاهر تفوقا ينسحب على التراث البلاغي من بعدُ، وذلك في مسايرته لمسائل الأسلوب ووصوله لمبادئه الحديثة، كما دافع بها عن البلاغة التراثية ضد تغول

(١) دلائل الإعجاز:ص٣٩٣، وطالع المقولة عند عبد المطلب في البلاغة والأسلوبية: ص٥٩.
(٢) البلاغة والأسلوبية: ص٦١.
(٣) السابق: ص٢.

المناهج الحديثة، وإن كنّا قد اكتفينا للتدليل على هذه الوظيفة بعرض نموذَجَيْن فقط يثبتانها، فإن مؤلفات عبد المطلب ملأى بعدد كبير من القضايا التي يثبت فيها تفوق مقولات عبد القاهر، ووعي التراث البلاغي بها، كما في قضايا المستوى السطحي والمستوى العميق، وفكرة الانتهاك والانحراف والعدول، وتحديد جملة خواص أسلوبية لكل غرض شعري، وإمكانات النحو.(١)

(٢) توظيف مقولة عبد القاهر لتدعيم فكرة وعي التراث البلاغي بقضايا الأسلوب:

ومقولة عبد القاهر يوردها عبد المطلب في سياق مقولات بلاغية أخرى، غير أنه يجعل لمقولة عبد القاهر الهيمنة؛ ليؤدي من خلالها تدعيما أو يجعلها بمثابة تمثيل على وعي التراث البلاغي بقضايا الأسلوب، وبإمكاننا أن نلمح ذلك في مبحث الأسلوب من كتاب " قضايا الحداثة" فعلى الرغم من انتفاء حاجة الكتاب لعرض سردٍ تاريخيّ لمفهوم الأسلوب في التراث البلاغي، خاصة أن مهمة عبد المطلب تتجرد في هذا الكتاب لتكون خالصة لرصد تقاطعات عبد القاهر مع الحداثة في بحوثها اللغوية، وعلى الرأس منها التوليدية التحويلية- فإن عبد المطلب يُطنِبُ في الحديث عن الأسلوب عند ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، والخطابي(ت ٣٨٨هـ)، والباقلاني (ت٤٠٢هـ)، وابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) (٢)، ثم يصل أخيرا إلى

(١) بالإمكان مراجعة هذه القضايا في كتاب البلاغة والأسلوبية، ص٥٦، ٥٨، ٣٦٣.
(٢) ينظر: قضايا الحداثة عند عبد القاهر: ص٣٣-٤٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مقولات عبد القاهر في الأسلوب[١]، وهو ما يجعلنا نقرر أن الهاجس الأول الذي كان يشغل ذهن عبد المطلب، هنا، هو التراث البلاغي في جملته، وعبد القاهر عنده يعد معادلا لهذا التراث، ممثلا لقمة نضجه؛ لذلك يتوج عبد المطلب حديثه عن الأسلوب بمقولاته؛ ليُدَعِّم وعي التراث البلاغي بقضايا الأسلوب. وسرد مقولات البلاغيين حول مفهومه يعد ضربا من تتبع الجذور، والنبش عن الأصول، وهو ما يصب في صالح التوفيق فيما بين البلاغة التراثية والأسلوبية.

ونلمح الوظيفة نفسها في تناول عبد المطلب لفلسفة المجاز في كتابه البلاغة والأسلوبية؛ حيث قدّم عرضا تاريخيا للمجاز عند علماء اللغة والبلاغة ومؤرخي الأدب، فعرض لمفهومه عند ابن فارس(ت٣٩٥هـ)، وأبو عبيدة(ت١٨٨هـ)، والجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، وابن جني (ت٣٩٢هـ)، والزمخشري (ت٥٣٨هـ) [٢]، ثم انتهى الحديث عند مقولات عبد القاهر حول المجاز والمواضعة[٣]، فأورد تعريفه للمجاز، وتحوله إلى وضع جديد وتنبّه عبد القاهر لذلك، ثم انتقل إلى رصد مفاهيمه عند السكاكي (ت٦٢٦هـ)، وابن رشيق (٤٦٣هـ)، والرازي (ت٦٠٦هـ)، ثم يعود مرة أخرى إلى مقولات عبد القاهر؛ ليثبت وعيه في إدراك المجاز في الكناية، فيقول:"على أن عبد القاهر كان أكثر القدماء إدراكا لما في الكناية من

(١) قضايا الحداثة عند عبد القاهر: ص٤٣.
(٢) يراجع: البلاغة والأسلوبية: ص٦٧-٧٠
(٣) ينظر عرض مقولات عبد القاهر في المجاز ، السابق، بداية من ص٧٠.

عدول"[١] ويكاد عبد المطلب يقصر التعامل بمبدأ الأخذ والرد في مناقشة فلسفة المجاز على مقولات عبد القاهر من بين الحشود الكثيرة لمقولات غيره، وإذا كان هذا مستساغا في طبيعة عرضه لها في كتابه" قضايا الحداثة"، لأن مادة الكتاب تضع مقولات عبد القاهر غرضا مباشرا لها للمناقشة والتحليل كما سبق وبيَّنّا، فإن اتباع عبد المطلب المنهجية نفسها في التعامل مع مقولاته داخل كتاب (البلاغة والأسلوبية) يؤيد فرضية هذا البحث في أن عبد القاهر معادل للتراث البلاغي عند عبد المطلب، وتكرار مقولاته وتردد حركة تفسيرها فيما بين أخذ ورد يعد تدعيما لثراء هذا التراث البلاغي؛ لذلك لا يلبث عبد المطلب أن يطرحها ثم يعود إليها ليزيدها إيضاحا في قراءات متعددة داخل الموضوع نفسه.

(٣) مقولة عبد القاهر بوصفها تصحيحا لمسار البلاغة:

طبيعة الوظيفة التي تؤديها مقولات عبد القاهر هنا مرهونة بعملية تصحيح وجهة نظر التراث البلاغي حيال بعض الخصائص الأسلوبية، التي تناولتها مؤلفات عبد المطلب، ومن الممكن أن نتناول التقديم والتأخير نموذجا دالّا لإثبات هذه الوظيفة، فقد استرفد عبد المطلب مقولات عبد القاهر حول التقديم والتأخير، وأتبعها بشروحات وإيضاحات خرج منها بعدة فوائد مهمة، من مثل: إدراك عبد القاهر للثابت (أطراف الإسناد) والمتغير (المتحرك لأغراض دلالية)، كما استطاع من خلال شواهد عبد القاهر،

(١) البلاغة والأسلوبية : ص٨١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وكلامه عن التقديم والتأخير في قوله تعالى :﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾[١] أن يُفرق فيما بين المعنى والدلالة، فالمعنى ثابت مع البنية القاعدية أو المتحولة عنها، أما الدلالة فمتغيرة لأنها لا تكون إلا في التحول[٢].

لكنّ أهم ملاحظة رصدها عبد المطلب، والمتعلقة بوظيفة التصحيح التي نرصد معالمها، لَهِيَ نعي عبد القاهر على صاحب "الكتاب" تخريجه كل تقديم على العناية والاهتمام[٣]، ورفضه أن تكون بلاغة التقديم محصورة في هذا الأمر، يقول: " وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: إنه قُدّم للعناية، ولأن ذكره أهم، من غير أن يُذكر، من أين كانت تلك العناية؟ وبِمَ كانت أهم؟ ولتخيلهم ذلك، قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم"[٤] وهو ما يعني أن عبد القاهر قد أدرك أن للتقديم والتأخير مجموعة من السياقات المتعددة في الصياغة، تتعلق هذه السياقات بمعاني النحو، وباعتبارات المبدع، وكان هذا الفهم منه دليلا على إدراكه المسار الصحيح للبلاغة العربية كما يقول عبد المطلب:" ولكنّ البلاغيين لم يدركوا فلسفة الرجل في هذا المبحث، فتتبعوا كل تعبير رصدوا فيه تقديما وجعلوه سياقا قائما بذاته، ثم قسموا هذا التقديم إلى ما يتصل بالمسند إليه، وما يتصل بالمسند، وما

(١) سورة الأنعام: من الآية ١٠٠. وينظر تعليق عبد القاهر على التقديم والتأخير في الآية، ص٢٨٦ من دلائل الإعجاز.
(٢) ينظر: البلاغة والأسلوبية، ص٣٣٤.
(٣) دلائل الإعجاز: ص١٠٧.
(٤) السابق: ص١٠٨.

يتصل بمتعلقات الفعل."[١]وهذه الملاحظة تتعلق بلب البلاغة العربية وطريقة عملها ووظيفتها؛ إذ ترتكز على كيفية إنتاج النص وفق شروط جمالية مستنسخة من النماذج الأدبية الرفيعة، ومن ثَمَّ فهي سابقة على إنتاج النص، وهو الأمر الذي مارسه البلاغيون، ليس فقط في مباحث التقديم والتأخير، وإنما في عموم الفنون البلاغية، وقد جاءت مقولات عبد القاهر هنا بمثابة التصحيح للمسار البلاغي، من خلال ردها إلى أن تكون أداة لا معيارا، أداة تكشف لنا الجمالية، لا معيارا يطلق حكما بالقيمة، كما صحح من طريقة عملها لتصبح تحليلية، على نحو ما يقول هنريش بليت:" لم يعد الهدف الأول للبلاغة العلمية هو إنتاج النصوص، بل تحليلها"[٢]وهو الأمر الذي أراده عبد القاهر للبلاغة، بأن تكون مفسرة للنصوص ، لا مجرد وصفيّة هادية للمبدعين، وهو ما تأبَّى على البلاغيين إدراكه، مما نتج عنه أن أغرقوا البلاغة في القاعدة القَبلية.

(١) البلاغة والأسلوبية: ص٣٣٤.

(٢) هنريش بليت: البلاغة والأسلوبية(نحو نموذج سيميائي لتحليل النص) ترجمة محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٩م، ص٢٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

نتائج البحث

قدَّمنا في هذا البحث رصدا قرائيا لمعالجة عبد المطلب لمقولات عبد القاهر الجرجاني البلاغية، التي استرفدها في اثنين من مؤلفاته الأسلوبية، هما كتابا: "البلاغة والأسلوبية"، و"قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني"، وقد خرج البحث بمجموعة من النتائج، نذكر منها:

– منهج القراءة الذي اتبعه عبد المطلب مكّنه من استخراج ما في التراث البلاغي لعبد القاهر من إمكانات نقدية، كما أنه وَقَى البلاغة التراثية من تغول النظريات والمناهج الحديثة.

– المنهج الذي استخدمه عبد المطلب في القراءة منهج واعٍ لا ينغلق على القديم، ولا ينفتح كل الانفتاح على الجديد.

– فتنة عبد المطلب الواضحة بفكر عبد القاهر الجرجاني لم تمنعه من نقد مقولاته وتحريرها ومراجعتها.

– مرّ مشروع محمد عبد المطلب البلاغي بمرحلتين، الأولى منهما انتقد فيها البلاغة القديمة، ووصفها بالعقم والجزئية، والمرحلة الأخرى راجع فيها هذه الآراء وبخاصة في كتابه "البلاغة العربية قراءة أخرى."

– انتقد عبد المطلب مقولات عبدَ القاهر في التقديم والتأخير، وفي إهماله المستوى الصوتي، وفي إيراده شواهد جزئية مبتورة من سياقها.

– حَاكَمَ عبد المطلب مقولاتِ البلاغيين قياسا على مقولات عبد القاهر، التي احتلت عنده مركزا يشد إليه بقية المقولات.

– استخدم عبد المطلب مقولة الجرجاني في تقويض مقولات أخرى، على نحو ما قوّض مقولة حازم القرطاجني في النظم والأسلوب، من خلال إعطائه الهيمنة لمقولة عبد القاهر في النظم.

–عالج عبد المطلب مقولات عبد القاهر في الحذف والذكر من منطلق تفوقها على مقولات الرازي وغيره من البلاغيين.

– حمّل عبد المطلب بعض مقولات عبد القاهر ما لا تحتمل في معالجته لها، ومن ذلك تحميله مفهوم الاحتذاء عند عبد القاهر ما لا يحتمل.

– جاء كتاب" قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني" مشتملا على عدد كبير من مقولات عبد القاهر، التي حملها عبد المطلب ما لا تحتمل، وأبرزها ما كان من مقارنة فيما بين نظرية النظم والنظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي، ويرجع ذلك إلى طبيعة القراءة الحداثية التي انتهجها في هذا الكتاب.

– وظّف عبد المطلب مقولات عبد القاهر في المحاججة عن التراث البلاغي صراحة أو ضمنا، من خلال إثبات وعيه بالدرس الأسلوبي، وتفوقه عليه في بعض الجوانب.

– تجاوز عبد القاهر في بعض مقولاته المنجزَ الأسلوبيَّ، كما في إخضاعه المجاز لسيطرة النحو، كما أدرك الفرق بين اللغة والكلام، وهو ما يُعدُّ فتحا لسانيا حديثا فجرّه دي سوسير.

– يعد عبد القاهر معادلا للتراث البلاغي عند عبد المطلب، ومعالجة مقولاته جاءت إثباتا لتفوق الدرس البلاغي القديم، وتأكيدا لوعيه بالمنجز الأسلوبي.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- تحليل عبد القاهر لمسائل التقديم والتأخير، والحذف والذكر يعد المسار الأمثل للبلاغة؛ لأنه لم يجعل منها معيارا سابقا على النص فيطلق من خلاله حكما بالقيمة، بل أداة نقدية تقدم تحليلاتها من خلال سياقات تختلف باختلاف الأسلوب والاعتبارات الأخرى المصاحبة.

وتأتي توصيات هذا البحث، أخيرا، متعلقةً بضرورة تقديم دراسات متعمقة للمشروعات البلاغية التي قدمت قراءاتٍ واعيةً للتراث البلاغي، كما يوصي البحث بتقصّي مقولات السكاكي في كتب محمد عبد المطلب البلاغية، واستصفاء ما من شأنه أن يزيل الجدل، الذي لم ينته حول بلاغة السكاكي أو يزيده بيانا.

وفي النهاية أرجو أن يغفر قارئ هذا البحث ما يكون قد وقع فيه من زلل أو نقصان، فإنما التعويل على النيات، ومن وراء النوايا الصالحة تُغتفر الزلات، والله- تعالى- من وراء القصد والحسبان .

ثبَت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أ) الكتب:

١.الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة ، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط١، ١٩٩١م.

٢.الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.

٣.الخفاجي، ابن سنان: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٤.عبد الرزاق، محمد بوعافية : البلاغة العربية والبلاغات الجديدة؛ قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠١٨م.

٥.عبد المطلب، محمد: البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.

٦.عبد المطلب، محمد: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.

٧.عبد المطلب، محمد: البلاغة العربية؛ قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

٨.عبد المطلب، محمد : النص المشكل أو قصيدة النثر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٩.

٩.عبد المطلب، محمد: الأعلام الذهبية، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١٠. فضل، صلاح: مناهج النقد المعاصر، دار ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٢م.
١١.القرطاجني، حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، تونس ١٩٦٦.

ب) الرسائل العلمية والبحوث المنشورة:

١.التكينة، إبراهيم : النظرية التوليدية التحويلية من منظور تاريخي، مجلة آداب النيلين، جامعة النيلين، السودان، مج١، ع(٤)، أكتوبر، ٢٠١٢م، ص٥٠.
٢.السوسي، آلاء محمد: محمد عبد المطلب ناقدا وبلاغيا، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٦.
٣.عمار، عثماني: ملامح تجديد البلاغة في كتاب البلاغة العربية قراءة أخرى لمحمد عبد المطلب، دراسة تحليلية نقدية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران- الجزائر، ٢٠١٦م.

ج) الكتب المترجمة:

١.بليت، هنريش : البلاغة والأسلوبية(نحو نموذج سيميائي لتحليل النص) ترجمة محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٩م.
٢. تشومسكي، نعوم : البنى النحوية، ترجمة يؤيل يوسف عزيز، مراجعة مجيد الماشطة، منشورات عيون، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٧م.
٣.دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي وآخرين، الدار العربية للكتاب، ليبيا طرابلس وتونس، ١٩٨٥م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	١٣١٣١
٢.	Abstract	١٣١٣٢
٣.	مُقدَّمة	١٣١٣٣
٤.	تمهيد	١٣١٣٩
٥.	(١)	١٣١٣٩
٦.	(٢)	١٣١٤١
٧.	(٣)	١٣١٤٣
٨.	المطلب الأول: طرائق المعالجة ومنهجيّتُها.	١٣١٤٥
٩.	المطلب الثاني : توظيف عبد المطلب لمقولات عبد القاهر	١٣١٦٠
١٠.	نتائج البحث	١٣١٦٨
١١.	ثبَت المصادر والمراجع	١٣١٧١
١٢.	فهرس الموضوعات	١٣١٧٣

تم بحمد الله